قرابين الأضاحي البشرية
في بعض المجتمعات البدائية بأفريقيا

الدكتورة زينب عبد التواب رياض خميس

كلية الآثار، جامعة أسوان، جمهورية مصر العربية

nfrtkmt77@yahoo.com

الملخص: تعد التضحية البشرية من الممارسات التى عرفها الانسان منذ أن وجد طريقه على الأرض، وعند تناول هذا الموضوع لاسيما فى عصور ما قبل التاريخ والعصور البدائية فإننا حينئذ كالمغمض العينين الذى يحاول الوصول الى طريق لا يعرف منتهاه، وكى يتسنى لنا فهم الغاية من تلك العادة علينا ان نترك العنان للخيال يسبح بنا فى ماضى بعيد مظلم مليئ بالوحشية نهاراً وبالخوف والفزع ليلا وما بين هذا وذاك يحيا الانسان الأول بقدراته البائسة ورغبته فى الحياة وخوفة من الغد بل من اللحظة القادمة!! وهو في سبيل ذلك كان على استعداد لتقدمة الغالى والنفيس كى يأمن عاقبة المخاطر التى تحيط به، فهو تاره يقدم قربان حيوانى وتاره يقدم قربان بشرى وينتظر النتيجة، يترقب البيئة ويحتاط لها بالمزيد من الآضاحى في الوقت الذي ترتسم فيه على الوجوه ابتسامات الارتياح لنيل مرضاة الآله !!

ترى اى اله هذا الذى يرضى بالقتل والذبح كى يمنح ويعطى الحياة للباقين؟ هذا السؤال يمكن لنا أن نجيب عليه فى الوقت الحالى، ولكن إذا وضعنا أنفسنا موضع الانسان البدائى البسيط بفطريته وبدائيته وسذاجته، هل كنا وقتها لنفطن حقيقة الأمور وطبيعة تصوره للإله؟

مارست اغلب شعوب الأرض فى العالم القديم بل والحديث عادة التضحية البشرية، وكان ذلك انطلاقا من الفكر غير الواعى بحقيقة الإله الذى طالما سعوا الى نيل مرضاته، ولاتزال هناك العديد من الشعوب تمارس تلك العادة حتى وقتنا الحالى .. ولابد ان تلك العادة كانت قد اتخذت اشكال مختلفة، وكانت لها بداياتها ودوافعها التى أدت بها الى تواجدها وانتشارها فى شتى ارجاء العالم. وقد عُرفت تلك العادة فى العديد من قبائل قارة أفريقيا

لاسيما غرب وجنوب أفريقيا، وكان لكل قبيلة ممارساتها ودوافعه وأسبابها ولكن الغاية واحدة.

الكلمات المفتاحية: (قربان، أضحية بشرية، الدين، السحر، الدم، التعدد الروحى)

Abstract: Human sacrifice is one of the practices that man has known since he found his way on earth. When dealing with this issue, especially in both the prehistoric and primitive times, we are like a blindfolded who is trying to reach an unknown path. In order for us to understand the purpose of this habit we have to let the imagination swim in the far past full of brutality in the day and of fear and panic at night; and between this and that lives the first man with his miserable abilities and his desire for life and the fear of tomorrow! For that, he was ready to offer the precious and the good to ensure the end of the dangers that surround him. He sometimes offers an animal sacrifice and then a human sacrifice, waits for the result and awaits for the environment by taking care of it with more sacrifices while smiling at the faces with relief to gain the satisfaction of God!! Is there any god who accepts murder and slaughter to give life to the rest? This question can be answered at the present time, but if we put ourselves in the position of the simple primitive man with his simplicity and primitive and naivety, would we then acknowledge the truth of things and the nature of his perception of God? Most of the people in the ancient world, and even the modern one practiced the habit of human sacrifice. This was based on the unconscious thought of the truth of God, which has long sought to achieve its satisfactions. And there are many peoples who are still doing this practice. This practice must have taken different shapes and had its start and motives that led to its presence and spread around the world. This custom has been known in many African tribes, especially in Western and Southern Africa. Each tribe has its own practices, motives and causes, yet one objective.

Key words
(Sacrifice, human sacrifice, religion, magic, blood, spiritual pluralism)

مقدمة

أدرك الانسان الأول بوجدانه منذ بدأ الخليقة أن روحه في حاجة إلى قوة تحميه ويأوي إليها، وكانت روحه ترتجف جوعا إلى هذه القوة مثلما كان جسده يرتجف جوعا إلى الأكل والأمان، ولكنه لم يستطع أن يلجأ إلى قوة بعينها من قوى الطبيعة وبدت تتشكل بداخله العديد من التخيلات بشأن الشمس والارض والسماء بل والاحلام، فمرة يعتقد أن أباه الذي يظهر له في الحلم هو هذه القوة الخفية فيعبده ويذبح له القرابين ويتخذ من قبره مزارا وتنشأ

من هنا عبادة أرواح الأسلاف؛ ومع تطور المعرفة عند الإنسان البدائي وارتقائه اخذ يتصور أن روح هذا الأب أو الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار وأصبح لكل قبيلة حيوانها الخاص الذي تعبده وتبجله ومن هنا نشأت فكرة (الطوطم) وهكذا ومع تطور الفكر الإنساني تعددت القوى وتبدلت بما يتوافق مع تعدد حاجات هذا الإنسان البدائى ومخاوفه بالإضافة إلى تعدد العوامل الجغرافية والطبيعية التي يعيشها ذلك الانسان ومن هنا نشأت أولى الأفكار التي كونها الإنسان بطبيعته الفطرية، ونشأت بالتالى عادة التضحية بالبشر، تلك العادة التى كان الانسان بممارستها قد اساء التعبير عن تدينه بما اقترفه من مذابح بشرية اراد منه التقرب من الآله فكان أبعد ما يكون عنه !!

ويُلقى البحث الضوء على عادة تقديم الآضاحى البشرية لدى بعض القبائل البدائية فى أفريقيا، موضحاً الكيفية والغرض من تلك العادة.

أفريقيا: يطلق اسم أفري على العديد من البشر الذين كانوا يعيشون في شمال أفريقيا بالقرب من قرطاج .ويمكن تعقب أصل الكلمة إلى الفينيقية "أفار" بمعنى (غبار) إلا أن إحدى النظريات أكدت عام1981 م أن الكلمة نشأت من الكلمة البربرية إفري أو أفران وتعني الكهف، فى إشارة الى سكان الكهوف، ويشير اسم أفريقيا أو أفري أو أفير إلى قبيلة بنو يفرن البربرية التي تعيش في المساحة ما بين الجزائر وطرابلس (قبيلة يفرن البربرية) . ويعتقد علماء الأجناس أن أفريقيا هى المصدر الأساسى للجنس الزنجى ذوي الروؤس الصغيرة والجباه المستديرة والفك العلوى البارز ذو الشفاة الغليظة المقلوبة والأنف العريض والبشرة السوداء والشعر الصوفى النادر على الجسم واللحية، والتكوين الجسمانى ذو العجز القصير والظهر الاطول والمناكب العريضة، ويلاحظ طول الزراعين عن العضد، والساق اطول من الفخذ والكعب البارز والقدم المسطح. وينقسمون الي قسمين هم الشعوب السودانية في الشمال والبانتو في الجنوب. (عمر، ع. 2016، ص 310)

المقصود بالأضحية والقربان:

يُعرف القربان بأنه كل ما يقربه العابد من معبدوه إلهاً كان أو روحاً في مناسبة دينية أو موسم محدد من صيده أو محاصيله أو طعامه، طالباً عونه في تحقيق منفعة أو اتقاء شره أو وفاءً لنذر، وليس القربان خاصًّا بالذبائح، وان صار ذلك مدلوله في الغالب. (على، ج.

2001، ص 195–196) وكان تقديم القرابين إلى الآلهة من أهم الشعائر في الديانات القديمة وتعود حقبة تقديم القرابين إلى بداية ظهور الدين في حياة الإنسان، وكان الهدف من تقديم القرابين إلى الآلهة توطيد الرابطة الدينية بين الإله وبين البشر، وكان من شروط تقديم اللحم كقربان هو اشتراك الإله والبشر في أكله. (الحسينى، خ. 2016، ص 35)

أما الأضحية فهى القربان الذى يتقرب به الانسان من المعبود ويكون من الذبائح الحيوانية أوالذبائح البشرية لدى بعض الشعوب، ولقد لعبت القرابين دور هام فى العديد من الحضارات القديمة بل ولدى بعض الشعوب الحالية. (Zmolek . P., 2002, pp. 1-8)

ورغم ان الأديان السماوية أبطلت عادة تقديم الاضاحى البشرية، الا أن القرابين البشرية لاتزال تُقدم ربما حتى اليوم لدى العديد من أصحاب الديانات الوضعية التى تسمى مجازا (ديانات)، اذ تمارس فى معظمها تقديم القرابين البشرية وتهتم اهتماما خاصا بالدم، اذ يثير الدم في النفس البشرية مشاعر غامضة تتأرجح بين الخوف والتقديس. وقد قُسمت هذه القرابين الى ثلاثة أنواع هى:-

1- قرابين دموية:

ارتبط الدم منذ عصور ما قبل التاريخ بقدسية ومهابه جعلت منه رمزاً مقدساً مرتبط بالقوة والتجدد والاستمرارية. وتختلف طبيعة الأضاحي والقرابين لدى الشعوب باختلاف دياناتها وأساطيرها (Sugiyama , S., 2005)

وكان الاعتقاد السائد أن للدم دور هام فى بعث الروح وتجديد الحياة، ومن ثم كان هناك حرص على تقديم القربان وسفك دم الحيوان على مذبح أو على رأس نصب وقد دللت الحفريات الاثرية على ذلك من خلال كثرة المذابح التى عثر عليها. (James, E. O., 1971, p. 94-96, 98, 102, 106)

وكانت الرغبة في تناول لحم الحيوان أو الإنسان المُضحى به والذى كان بمثابة المقدس أو الإله، فعند أكل جسم الإله يكتسب قواه، وعندما يأكل ذلك الخبز ويشرب الخمر انما يتناول العابد جسم الإله ودمه الحقيقي وكذلك اعتقد ان تلك الآلهة كانت أرباباً للناس تتصرف في أمورهم وهي التي تمنحهم الأمن وتوفر لهم الخصب والرزق. (الحسينى، خ. 2016، ص 37)

2- القرابين المحروقة:

ويقصد بها اى نوع من انواع القرابين سواء أكانت من الحيوانات او الطيور أو حتى البخور الذى كان يحرق فى المباخر وكان مبدأ الحرق للذبيحة أو البخور يقوم على صعود الرائحة الطيبة الى السماء لتنال القبول فالمذبح هو المكان الذي يوصل القربان المقدم بآلهته، ولعل الحس الإنساني بالخطيئة وعمق الرغبه في الخلاص منها، كانا من اهم الأمور المؤثرة على أنظمة التفكير الديني والميثولوجي الناضجة في الحضارات الكبرى، وهذا ما جعل الانسان يستعين بكهنة أو وسطاء أو بطقوس معينة، يظن أنها هي الأصلح للرضا الإلهي. (الحسينى، خ. 2016، ص 38)

3- الآضاحى البشرية:

يقصد بالتضحية البشرية عملية قتل لشخص واحد أو أكثر وتقديمه كقربان ضمن شعائر الطقوس الدينية أو الممارسات الجنائزية، وقد عرفت التضحية البشرية فى مختلف الثقافات عبر التاريخ القديم، ومازالت موجودة حتى عصرنا الحديث فى العديد من القبائل البدائية بفرضية أن التضحية هى استرضاء للألهة والأرواح وجلب للمنفعة. وغالباً ما كان الشخص المُضحى به سعيدا عند تقديمه قربان للإله، إذ كان ذلك يعد تشريفاً له. (Bremmer, J. N., 2007, p.6)

وكانت ظاهرة تقديم الأضاحي والقرابين البشرية واحدة من الظواهر التى كان الغرض منها خدمة الطقوس والشعائر الدينية لدى العديد من الشعوب والقبائل البدائية. (Sugiyama, S., 2012, pp .93 – 102)

ويعلل البعض تقديم القرابين الآدمية بأنها وسيلة لإحياء الآلهة وبعثهم بواسطة التضحية البشرية أو تقديم الطعام للطوطم (المعبود الحيواني) والرغبة فى توحيد المضحين بحياة أجدادهم. (الحسينى، خ. 2016، ص 38)

السحر والدين فى افريقيا:

ما بين السحر والدين، وما بين البدائية وعصور ما قبل التاريخ عبر الأفريقى عن معتقداته سواء بطقوسه وممارساته العقائدية، أو من خلال ما تركه من أعمال فنية عبرت عن مكنونه،(Steif. A., 2010, p.6-10) وبشكل عام تؤمن جميع القبائل الإفريقية بوجود إله أعلى خالق للكون، ولكن الاختلاف الأكبر فيما بينها هو إيمان كل قبيلة بأشكال مختلفة لقدرةهذا الإله وقوته وسلطانه في تسيير أمور الدنيا والبشر، ولكنهم يتفقون أيضًا على أن هذا

الإله يقبع في مكان بعيد تمامًا عنهم لا يستطيعون الوصول إليه أو الاتصال به بشكل مباشر، وهم مكلفون من قِبله بحماية الأرض وتصريف أمورها. (فؤاد، ع. 2014)

وفى البداية لم تكن ملامح الدين قد تحددت بعد، ولذا لعب السحر دور المنظم للحياة والمحرك لها لدى العديد من القبائل البدائية بأفريقيا، وذلك من خلال طقوسه المختلفة التى كان الغرض منها تفادي قوى الطبيعة والأرواح وتفادى شر المجهول والخوف والأمراض والاعداء. وكان الساحر يتصور أن في استطاعته إحداث أي تأثير عن طريق المحاكاة، وذلك من خلال صنع دمية مشابهة لهذا الشخص وقراءة بعض التعاويذ عليها حيث يتأثر بها شبيهها الأصلي نتيجة للترابط المعنوي, وهو يستنتج أيضا أن أي شيء يفعله بالأشياء المادية سوف يحدث تأثيراً مماثلا على الشخص المقصود. (عطيه، م. 1994، ص 40-41)

ويمكن القول ان الدين البدائي هو رد فعل دفاعي ووسيلة يتقى بها الانسان الخطر الذي قد يتعرض له فى الطبيعة ، وذلك من خلال التمسك بعقائد وافكار تجعل لديه رد فعل دفاعي يقاوم به الطبيعة. (برجسون، هـ. 1945، ص 143)

قرابين الدم فى أفريقيا:

القربان كما جاء ذكره آنفاً هو كل ما يتقرب به المرء الى القوى العلوية من ذبيحة وغيرها، وقد تكون هذه القوى الها او غيرها من القوى فوق الطبيعية الاخرى كالأرواح مثلاً، واذا كان لكل قربان دلالته وقيمته الرمزية فإن اكثر انواع القرابين قيمة هي الذبائح التي تراق دماؤها خلال طقوس دينية او سحرية على مكان مقدس. (La Fontaine, J., 2011, pp.4-5) وتختلف طبيعة القرابين باختلاف المناسبات والجهة التي تقدم اليها، ولقد اعتقد الإنسان القديم أن النفس والروح تجرى فى الدم وذلك لأهمية الدم فى الكائن الحى فهو يفقد الحياة بنزيفه لذا إعتقد ان سر الروح تكمن فى الدماء فيكون الذبح وإزهاق الروح هو الطريقة المثلى للتضحية.(Schadrack. M., 2008, p.30)

التعدد الروحى فى أفريقيا:

مازال الاعتقاد بوجود الروح فى كل شيء يسيطر على كثير من القبائل فى أفريقيا، حيث إن لكل الأشياء الحية وغير الحية روحاً داخلية غير مرئية سواء أكانت شجرة أم حجرا

أم حيواناً كما يعتقدون، وهذه الأرواح هى التى تجعلها تبدو فى الصورة التى هى عليها بأحاسيسها الخاصة، تستطيع الانتقام إذا أثيرت، وتعبر عن الحب اذا أرادت، فإذا حرّك شخص صخرة ما فالأفضل له أن يفعل شيئًا لاستعطاف الروح التى تعيش فيها، وإلا سبّب لها ضررًا وأذى كبيرين، وكلما كان حجم الصخرة كبيرًا زادت اللعنة التى تحلّ به، وهذا الأمر ينطبق على الأنهار والأشجار والغابات وغيره من ظواهر الطبيعة. (Schadrack. M., 2008, pp.40-41) يقف الأفريقى وسط هذا التعدّد الروحى فى مزيج من الأمل والرهبة، ولمّا كان يؤمن بأن سلوك الأرواح من الممكن التأثير عليه بأعمال البشر، فإنه يعتقد أنه إذا استطاع أن يُجنّدها لصالحه فإنه سيحصل على ما يريد، ويستطيع أن يقضى على أعدائه، وعلى العكس فإن العدو الذى يكتسب السيطرة عليها سيستطيع إزعاجه وتدميره، وهكذا فإن الأفريقي عندما يصيبه المرض فإنه يعتقد أن روحًا أو قوة خفية يؤثر فيها إنسان آخر هى التى سبّبت إصابته بالمرض، والموت نفسه ليس أمرًا لا مفر منه، بل إن المرء يموت لأن شخصًا آخر قرّر أنه ينبغى أن يموت، ويجرى استخدام هذه القوى غير المنظورة عن طريق السحر الذى يزدهر وينتشر فى المجتمعات الأفريقية. (المعتقدات، غ. 2014) وذلك بإعتبار أن الطبيعة تسكنها أرواح وما الظواهر المادية إلا كشف لهذه الأرواح أو بإعتبار أن ما يصيب الإنسان هو الظواهر المادية الفعلية فإن إبعاد هذه المصائب يتوقف على الأرواح لهذا لا بدّ من التضرّع لهذه الأرواح قصد الإبقاء على الإنسان وإبعاد المصائب عنه، ويظهر التضرّع والرّجاء في القيام بالصلوات وتقديم القرابين والأضاحي ومخاطبة الأرواح، فبالتقرّب للأرواح يقع التأثير في الطبيعة والمجتمع فيقع إبعاد الكوارث الطبيعية كالجفاف والزلازل والبراكين وغيرها وكذلك إبعاد المصائب التي يسبّبها الإنسان للإنسان كالحروب والإستعباد والإستغلال وعموما القهر بجميع أشكاله. (المعتقدات، غ. 2014)

كما أن هناك اعتقادًا بمسألة الخلود الإنسانى، فبعد الموت العادى تذهب الروح البشرية إلى السماء فترة ما، ولكنها تعود لتسكن فى كوخ الأسرة، أو على مقربة منه، منتظرة أن تعود للتقمّص داخل الأسرة فى صورة طفل، والطفل الجديد فى المجتمع الأفريقى لا يشبه قريبه الميّت، بل هو هذا القريب فعلا. (Bernault, F., 2006, pp. 207–39)

وهناك العديد من القبائل الأفريقية التى لازال تمارس حتى الآن عادة تقديم الأضاحى البشرية، فلازالت نيجريا حتى يومنا هذا تهتم بالطقوس الجنائزية وتمارس عادات تقديم القرابين سواء الآدمية او الحيوانية، وذلك فى ظل عبادة وتقديس المعبود "Abasi" الذى من أجله تمارس الشعائر والطقوس المتضمنه تقديم الاضاحى الآدمية (Ojua, T. A., and Omono, C., 2012, p.28)

وكذلك الحال فى أوغندا فقد لعبت التضحية البشرية لدى شعبها دور طقسي وشعائري، فالأضحية الآدمية تعد وسيلة هامة لإسعاد الإله، وتحقيق النصر والكسب السريع، ولقد عثر على العديد من الآضاحى البشرية فى مواقع عده بأوغندا كان الغرض منها التقرب من الإله وتحقيق التواصل معه (McCrary, A., 2012, p.26) ويتم تقديم الأضحية فى ظل طقوس وشعائر معينه للدم فيها دورهام. (Musana, P., 2014, pp. 39-52)

وزادت فى الوقت الحالى فى شرق وجنوب أفريقيا (Igwe, L., 2012, p.2) وفى أوغندا تحديداً ظاهرة التضحية بالأطفال (McCrary, A., 2014, p.2) فبمعدل كل أسبوع يختفى طفل وعند العثور عليه إما يكون مقتولاً، أو غارقاً فى دمه وقد تم فقد أجزاء من جسمه وهو حي لتقديمها ضمن طقوس وممارسات جنائزية مرتبطة بالتضحية البشرية (Foundation, K., 2014, p.1) وما ذلك الا تحقيقاً لاعتقادهم بالحصول على السعادة والحماية التى يمنحها لهم أرواح الأسلاف وجد كل طفل.(Fellows S., 2013, pp.28-29)

ولازالت قبائل الدوغون التى تعيش فوق صخور بانديا‌غارا فى الجنوب من تمبكتو بأفريقيا تهتم بتقديس الأرواح والأسلاف ونحت الأقنعة والتماثيل الخشبية (عمر، ع. 2016، ص 312) والدوجون أو الدوغون احدى القبائل التى تجمع ما بين بدائية العيش والتطور الكبير فى علم الفلك والتنجيم، ويمكن تصنيف قبيلة الدوجون وفق القبائل التى تقدس الأسلاف أو الأرواح، ويقوم الـــ"هوجون" أو الزعيم الروحى للقبيلة مقام الحاكم فله الكلمة العليا بين كل أفراد القبيلة وله مكانته واحترامه. (الدوجون، 2014، ص 2) (شكل:1)

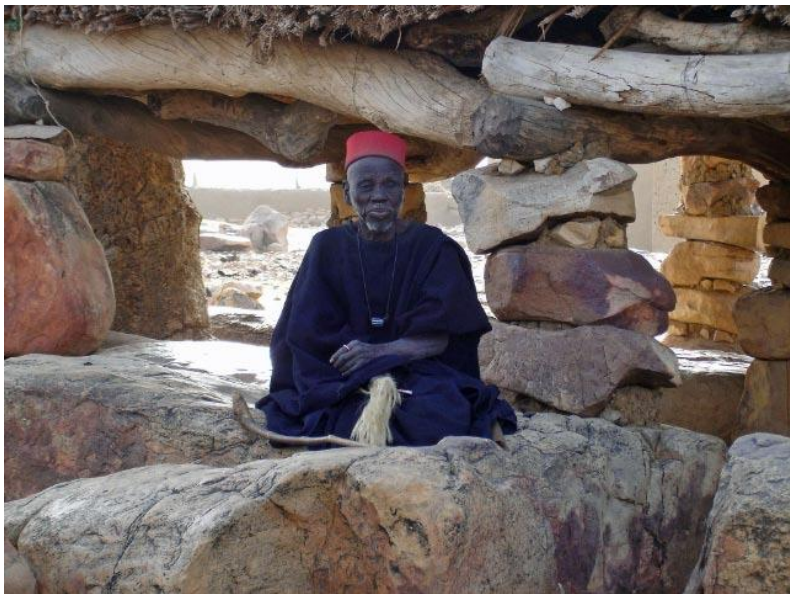

(شكل :1)- الزعيم الروحى "هوجون" لقبيلة ل دوغون الافريقية

وفى أقصى الجنوب الأثيوبى وبالقرب من حدودها المشتركة مع السودان وبالتحديد فى منطقة وادى ديبوب أومو تعيش إحدى أغرب القبائل البدائية، وهى قبيلة الموريس التى تشكل مع قبائل أخرى السكان الأصليين لأثيوبيا، وكان من بين أغرب عاداتهم أنهم يشربوا الدم بعد مزجه باللبن، هذا بخلاف طريقتهم الشاذة والغريبة فى التزيين والتجمل سواء للنساء أو الرجال على السواء. (الموريس، 2014، ص 1-2)

فما بين الرب والروح، وقداسة الطبيعة والسلف خرج الفن الافريقي كوسيلة للتواصل بين ذلك الانسان الافريقي وعوالم معتقداته فابتدع السبور والنذور والقرابين التي كانت تمثل جوهر الحياة في المجتمعات الافريقية التقليدية. (عمر، ع. 2016، ص 316)

قبيلة "أكان":

والأفارقة معروفون بالاستقلال الدينى، فكل شعب لديه نظام ديني خاص به مع مجموعة من المعتقدات والممارسات، فالدين يتخلل جميع دوائر الحياة بشكل كامل بحيث لا يكون سهلاً أو ممكناً دائماً عزله عن المجتمع، ويتضح ذلك بشده فى جزيرة "أكان" التى تتميز بأساطيرها

واحتفالاتها التى تعد جزء ملون ونابض بالحياة والثقافة، فالمهرجانات ليست فقط مناسبات للاحتفالات السعيدة، ولكن أيضا إعادة سرد تاريخ المجتمع لجيل المستقبل، إنها فترة يجدد فيها المجتمع أنشطته ويجددون ولائهم للآلهة المحلية والأجداد والكائن الأسمى من خلال طقوس التضحيات فيما يتعلق بالتضحيات البشرية، ويرى البعض أن الطقوس القديمة كانت عُدلت واستبدلت بقرابين الحيوانات بدلاً من الأضاحى البشرية كما هو الحال فى جنوب غانا. (Brown, L. A., 2007, p.4)

ويعد تقديم القرابين والأضاحى وتأدية الصلوات من أهم الشعائر الدينية التى يحرص عليها شعب الـــ "أكان"، إذ أن هذه الأمور من وجهة نظرهم هى التى تربط البشر بأسلافهم وآلهتهم (Brown, L. A., 2007, p.9)

ويرى Thomas أن بعض المجتمعات الأفريقية القديمة تعتبر أن عادة تقديم الأضاحى البشرية هى بمثابة رسالة مباشرة للأسلاف كوسيط أو حلقة وصل تتشفع لديهم لتخفيف المعاناة عن المجتمع لاسيما فى أوقات المحن والشدائد حيث يصبح تقديم أضحية بشرية من أهم الأمور التى تحدث توازن وتربطهم بالعالم الآخر. (Thomas, D. E., 2005, p. 17)

وتعد التضحية بالنفس من أسمى آيات التضحية لدى قبيلة أكان لاسيما فى أوقات الحرب طلباً للنصر، فقبل أن تبدأ الحرب ترسل القبيلة خادم الى القبيلة المحاربة معهم كإعلان ببدأ الحرب، وأحياناً تُقطع يديه وتُرسل بدلا منه لتؤدى نفس الغرض، ولتأكيد النصر يتم تقديم أضحية بشرية سواء كانت خادم أو رجل أو أمرأة أو فرد من المجتمع، وأحياناً يقدم زعيم القوم نفسه كأضحية لتحقيق النصر، وهذه أعظم درجات التضحية لديهم. (Brown, L. A., 2007, p.12)

قبيلة "البامبارا":

توجد قبيلة «البامبارا» غرب إفريقيا مثل مالي والسنغال والكاميرون تؤمن بالإله «فارو»، تؤمن تلك القبيلة بقصة عجيبة حول ذلك الإله، حيث خُلق من السديم الأزلي في الفضاء، ثم صار إله الماء، وبعد ذلك قام بالانتصار على إله الأرض «بمبا» وقام بتنظيم شؤون العالم على نحو أفضل، ويصورونه في صورة كائن مائي مزدوج الجنس يميل لونه بين الأصفر والنحاسي، أقرب لعروس بحر لها رأس بيضاء، يتغذى على دم الأضاحي والطماطم وحساء الذرة، وهم يؤمنون بقدرته على التشكل في أي هيئة مثل كبش أو امرأة

حسناء أو ضباب، ولا يجيب دعوة الداعي إلا فقط عن طريقة الكهنة، يعرف هذا الإله بأسماء عدة مثل «أشانتي» و «نانا» و«شوكو» والجدير بالذكر أن أهالي «توجو» يفسرون تباعد هذا الإله عن البشر؛ لأنهم قاموا بتلويث السماء بأيديهم القذرة. (فؤاد، ع. 2014) (شكل : 2)

تقوم قبائل «البامبارا» بعبادة السماء وأركان الأرض الأربعة والجن، ويتخذون من الحجر أو الشجر أو أماكن وجود الماء محاريب لذبح الأضاحي، وكل بالغ أهل لأن يقوم بأداء الأضحية، يقوم اعتقاد الأضحية على أن القوى الحيوية للذبيحة تنتقل إلى المعبود الذي تقدم إليه الضحية، في العادة يضحى بحيوان أليف ككبش أو طير، إلا إذا كان المضحي صيادًا فيجب أن يقدم حيوانًا بريًا، ويجب أن تطول مدة احتضار الذبيحة أثناء موتها؛ لأن تحركاتها تساعد العرافين للتكهن بالغيب. جرت العادة أن تكون الأضحية شخصًا بشريًا أشقر اللون، أي عدو الشمس في وجهة نظرهم ويحدث هذا في الأمور الهامة التي تهم المملكة بشكل عام ولذلك مراسم محددة، فمثلًا في المشاكل الخاصة بالحكم كان يشطر الشخص إلى شطرين بحبل حول البطن فى حضور الملك الذي يجب أن يبدو ساكنًا تمامًا ويقوم بحمل الشطر الأسفل من الشخص المضحى به ويلقى في النهر قربانًا للإله «فارو» والرأس تلقى أسفل عرش الملك. وفي حالة وفاة عدد كبير من أسرة واحدة يضحى بشخص أشقر ويذبح ويؤخذ لسانه وأنفه وعيناه لتأكلها الأسرة. (فؤاد، ع. 2014)

(شكل :2)- الكاهن فى قبيلة البامبارا بأفريقيا

وهناك قبيلة زولو التى تؤمن بوجود تناسخ الأرواح التى تأتى من امواتهم وتهيم فى الغابات وتسمى " توكولوش " ويصورونها على انها مخلوقات ضخمة كثيفة الشعر تقتل كل من لا يقدم قربان اليها . (الزولو، 2013، ص 5)

وهناك قبيلة الدنكا وهي من القبائل شديدة الحفاظ على معتقداتها فهم يقدسون الابقار ويخصصون بقرة واحدة باسم " ديت " تيمناً بها بين ابقارهم، وهم يؤمنون بإله واحد يدعى نيال ويعتقدون ان روحه تتقمص الأفراد ليتحدث من خلالهم الدينكا فى الآساطير، ويحترمون قاداتهم فى قدسية روحية ترتبط بموروث السلف. (الدينكى، 2013، ص 2)

أكلِ لحومِ البشر:

واحدة من التقاليدِ الجنائزية الأكثر غرابة ووحشية ويتمُّ ممارستها من قبل قبائل تعيش في بابوا في غينيا الجديدة وبعض قبائل البرازيل، حيث تتغذّى العائلة على جثة فقيدها المتوفى فيما يعرف بالآدمية الداخلية (أكل لحوم البشر داخل الجماعة) ويمارس ذلك خلال الشعائر الجنائزية، فقوة الحياة للميت يجب أن تمر فى جسد من هم على قيد الحياة، وترمز الشعائر

الجنائزية الى تهدئة الموتى والسماح للأحياء بـــ "الحداد". (بيمبينيه، ج. 2014، ص30) وطبقً لما ذكره Davies فإن هذه العادة عرفت فى أماكن محددة لاسيما فى الكونغو والمناطق المحيطة بحوض نهر النيجر وكان غالباً أكل لحوم البشر يتم ضمن طقوس وشعائر خاصة (Davies, N., 1981, p. 154) وهناك قواعد وصفات لابد من توافرها فى الأضحية البشرية التى سيتم تناولها سواء كانت لرجل أو أنثى، طفل أو عجوز، بل وكذلك فيما سوف يتم الإبقاء عليه من أجزاء معينة من الجسم. (Lukaschek, K., 2000/2001, p.6)

كانت أغلب الكتابات والتقارير التى أشارت الى ممارسة عادة أكل اللحوم البشرية فى بعض القبائل الأفريقية قد أغفلت دور الدين فى تلك الممارسة، وأظهرت تلك القبائل دموية بطبعها وتهوى أكل لحوم البشر لتلذذها به، ولكن هذا ينافى الواقع. فالمبدأ الأساسى لأكل اللحوم البشرية فى عقيدة تلك القبائل هو أن ذلك يسمح بانتقال الروح من المُضحى به الى من يأكله، واكتساب نوع من القوة السحرية بهذا الانتقال المادى للروح، وكان للرأس أو الجمجمة أهمية خاصة إذ كان تناولها يجعل الحكمة – فى اعتقادهم– تنتقل من المُضحى به الى من يتناوله.(Lukaschek, K., 2000/2001, p.6)

ولقد كان الاعتقاد السائد فى أفريقيا أن أرواح الموتى تظل حية بين الأحياء، ومن ثم نمى فى اعتقادهم أن هناك اتحاد وتناسخ روحى يتم اذا ما تناول الانسان الحى قرينه أو سلفه من الموتى، فهو بذلك سيصبح مثله معبود مقدس، وهذا كله من صميم عبادة الأسلاف التى عرفتها أغلب قبائل الكونغو وغيرها من القبائل البدائية فى أفريقيا، فأكل الأقارب من الأكبر سناً كان من أهم الأسس التى تقوى جذور القرابة والصلة بينهم وترطهم بأسلافهم وأرواحهم المقدسة.(Lukaschek, K., 2000/2001, pp.6-7) ومن ناحية أخرى يستعرض Lukaschek وجهة نظر بعض الباحثين ومن بينهم Arens الذى كان قد رفض فكرة أن القبائل الأفريقية عرفت عادة أكل لحوم البشر(Lukaschek, K., 2000/2001, p.7) بل وأكد أن تلك العادة لم تكن موجوده على الإطلاق (Peter-Röcher, H., 1998, p.146ff) وإن ما تم تم اختراعه ببساطة من قبل أهل تلك القبائل كان لإرضاء الغرباء الأوروبيين الذين استجوبهم وأرادوا إظهار الأفريقيون متوحشون، ولم يرى أي شاهد عيان أي طقوس لأكل

لحوم البشر ولذا فتقارير أولئك الأوروبيين غير محايدة. (Lukaschek, K., 2000/2001, p.7)

الا أن هناك من يرى أن تلك العادة موجودة بلا شك، وهناك بعض الحالات التي يبدو فيها أكل لحوم البشر مسألة لا رجعة عنها، ويذكر Davies أنه في أجزاء معينة من أفريقيا يتم سحق قلوب العدو وتناولها لجعل لاكتساب القوة والشجاعة، وفى ليسوثو جنوب أفريقيا هناك جرعة للشجاعة والوقاية يُعرف باسم Diretlo أو Ditlo وهى وصفة مصنوعة من اللحم المعد بعناية من الضحية المختارة التي كان يجب أن تكون غريبة أو أسيرة حرب، ولأن أسرى الحرب أصبحوا قلة، لذلك عادة ما يكون الطبيب الساحر اختار عضوا من القبيلة، ولقد عثر في مجتمعات ليوبارد بسيراليون على الساحل الغربي لأفريقيا على أكثر الطقوس انفراداً، إذ عُرف هناك دواء كان يتم تصنيعه من الأحشاء البشرية. (Davies, N., 1981, p.135)

ويرجح White وجود عادة التضحية البشرية فى المنطقة الواقعة عند فم أو مصب نهر Klasies جنوب أفريقيا وهو نهر صغير على ساحل Tsitsikamma في جنوب أفريقيا، إذ بالقرب من النهر توجد العديد من الكهوف التي سكنها الإنسان العاقل منذ حوالي 125.000 عام، وهناك تم العثور على بقايا بشرية أحفورية في عدة طبقات من الاستيطان كدليل قوي على أكل لحوم البشر بدلا من الدفن المتعمد، وعثر على العديد من الشظايا بالجماجم، بخلاف العثور على علامات القطع والتمزيق على العديد من العظام. (White, T. D., 1987, pp. 6–9)

وهكذا بين رافض وموافق اتجهت الآراء، الا أن وجود تلك العادة لاشك موضع قبول من قبل العديد من الباحثين، لاسيما وأنها انتشرت في القارة الأفريقية العديد من القبائل التي تأكل لحم البشر، وهي موجودة حتى الآن ولكن من النادر أن يراها أحد، فهي تعيش متخفية في أغلب الأوقات، وتقوم تلك القبائل باختطاف أي شخص يدخل إلى الأدغال، وكانت قبيلة فيجى من أشهر القبائل الأفريقية التى اعتادت على أكل لحوم البشر. (حموتن، ع. 2014)

الخاتمة والنتائج:

• منذ بدء الخليقة والانسان يسعى الى معرفة الخالق وإرضاءه، وتخبط في طريقه لذلك بين الحقيقة والسراب، فمره يسترضيه بالسحر والطقوس التعبدية، ومره يسترضيه بالقرابين والآضاحى الحيوانية ثم مرة أخرى يقدم نفسه قربان لمرضاته.

• رسم الانسان لنفسه منذ عصور ما قبل التاريخ عالم من الروحانية، مفرداته الأساسية كانت روح السلف، والدم، والقربان والسحر، فجعل هناك هالة من التقديس للموتى من الأسلاف، وعبر عن هذا التقديس بصور عده تنوعت ما بين دفنه، حرقه، مواراته فى الهواء، وأخيرا تناوله ليصبح من يتناوله جزء منه، كنوع من التبجيل والإعزاز!! والرغبة فى توحيد المضحين بحياة أجدادهم.

• الإله.. هو ذلك الكيان غير الواضح الذى لابد من الوصول اليه لنيل رضاه، وللوصول اليه لابد من وجود وسيط– هذا ما تخيله الإنسان البدائى منذ عصور ما قبل التاريخ– وعن هذا الوسيط فهو إما أن يكون عراف القبيلة أو زعيمها، وأما أن يكون ذلك الشامان الى بسحره يقنع من حوله بوساطته تلك بينه وبين الإله.

• إذا كانت الدماء هى رمز الحياة بجريانها فى الشرايين أثناء الحياة، فقد اعتقد الإنسان البدائى فى العديد من القبائل الأفريقية أن الدماء هى أيضاً رمز الحياة بسفكها وتقديمها للإله بعد إزهاق روح صاحبها، إذ يعتقد بأن جريان الدماء على المذابح أو أمام تمثال الإله فيه تجديد للحياة، بل وتجديد واستمرارية لحياة الإله، وما هذه الا تصورات رسمها الانسان البدائى بتخيلاته الساذجة وفطريته الأولى.

• ترى العديد من القبائل البدائية فى شرق وغرب وجنوب أفريقيا أن لكل شئ روح؛ فللجماد روح، وللنبات روح وللهواء روح، أى إن لكل الأشياء الحية وغير الحية روحاً داخلية غير مرئية وهذا هو ما يُعرف بالتعددية الروحية.

• يعلل البعض عادة تقديم الآضاحى الآدمية بأنها وسيلة لإحياء الآلهة وبعثهم مرة أخرى من خلال التضحية البشرية.

قائمة المراجع العربية والمترجمة

• بيمبينيه، جيروم (2014). السكان الأصليون، الخطر، الصراع، المستقبل، ترجمة مارك عبود، الرياض، الرياض، اصدارات المجلة العربية.

- حموتن، عبد اللطيف (2014). آكلى لحوم البشر، مجلة المعرفة، 23 يوليو 2014.
- الدوجون (2014). من غرائب قبائل دولة مالى، أفريبا قارتنا، أكتوبر، العدد الرابع عشر ، ص.ص 1-5.
- الدينكى (2013). الدينكى امتداد العرق الزنجى الحامى فى الدولة السودانية، مجلة افريقيا قارتنا، العدد السابع، سبتمبر، ص 1-2 .
- الزولو (2013). "الزولو قبيلة لم يطمس الحاضر ماضيها"، مجلة افريقيا قارتنا، العدد الخامس.
- عبد الحسينى، خالد موسى (2016). أثر القربان الوثنى فى العشاء الربانى المسيحى، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 42، ص. ص 35- 57.
- عطية، محسن محمد (1994). الفن والحياة الاجتماعية، القاهرة.
- على، جواد (2001). المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، ج 11، بيروت.
- عمر، عوض عيسي عوض؛ خير، مصطفي عبده محمد؛ الفضيل، عبده عثمان عطا (2016). تاثر فن النحت الاوربي الحديث باساليب النحت الافريقي(الزنجي) (دراسة علي اعمال بيكاسو)، مجلد 17 (3) ص.ص 307- 325.
- فؤاد، عادل (2014). أغرب المعتقدات الدينية فى أفريقيا، الشبكة الليبرالية الحرة، 2014/12/19.
- المعتقدات، غرائب (2014). الجمادات لدى قبائل أفريقيا تسكنها الأرواح، موقع كايرو دار، متعة المعرفة، 3 سبتمبر، 2014
- الموريس (2014). قبيلة الموريس البدائية، إحدى أغرب القبائل البسيطة على وجه الأرض، العدد العاشر، مجلة أفريقيا قارتنا، يناير ، ص.ص 1-4.
- هنري برجسوون ، هنرى (1945). منبعا الأخلاق والدين ، بيروت

قائمة المراجع الأجنبية:

- Bernault, F., (2006). Body, power and sacrifice in Equatorial Africa, in: Journal of African History, 47, pp.181-205.
- Bremmer, J. N., (2007). Human sacrifice: a brief introduction, University of Groningen, pp.1-10.

- Brown, L. A., The ritual of blood sacrifice as evidence in colossians 1:20 and its implications in Akan traditional culture, Thesis Presented to the Faculty of the Brite Divinity School in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Theology in Biblical Interpretation Fort Worth, TX, December, 2007.
- Bukuluki, P.,(2014). Child Sacrifice: myth or reality?, International Letters of Social and Humanistic Sciences Online: 1435-12-06 ,ISSN: 2300-2697, Vol. 41, pp.1-11.
- Davies, N., Human Sacrifice: In History and Today. William Morrow, New York, 1981.
- Fellows S., Child Sacrifice and mutilation of Children in Uganda: Humane Africa, United Kingdom, 2013.
- Igwe, L., Ritual Killing and Human Sacrifice in Africa, International Humanist and Ethical Union 2012, Source: http://ieet.org/index.php/IEET/more/5314.
- James, E. O. Origins of Sacrifice: A Study in Comparative Religion, London, 1971.
- Kids Rights Foundation, Child Sacrifice in Uganda, in a global context of cultural violence, Leiden, April 2014.
- La Fontaine, J., Ritual Murder? School of Economics, London, 2011.
- Lukaschek, K., The History of Cannibalism, Thesis submitted in fulfilment of the MPhil Degree in Biological Anthropology, University of Cambridge, UK, Lucy Cavendish College, 2000/2001.
- McCrary, A., (2012). Tracing Tradition: A Case Study of Child Sacrifice in Uganda, International Letters of Social and Humanistic Sciences Online: 1435-12-06, ISSN: 2300-2697, Vol. 41, pp.25-38.
- Musana, P., The Judeo-Christian Concept of 'Sacrifice' and Interpretation of Human Sacrifice in Uganda, in: International Letters of Social and Humanistic Sciences, 30(1) ,2014, pp.39-52
- Ojua, T. A., and Omono, C.,(2012). African Sacrificial Ceremonies and Issues in Socio-Cultural Development, in: British Journal of Arts and Social Sciences Vol.4 No.1.
- Peter-Röcher, H.,(1998). Mythos Menschenfresser: Ein Blick in die Kocht¨opfe der Kannibalen, München.
- Schadrack.M., (2008). The communicative power of blood sacrifices: A predominantly South African perspective with special reference to the epistle to the Hebrews, Pretoria.
- Steif. A., (2010). Endless resurrection: art and ritual in the upper Paleolithic, Michigan.

- Sugiyama, S., (2005)."human Sacrifice, militarism, and ruler ship", in : news studies in archaeology, Cambridge , 2005
- Thomas, D. E., (2005).African Traditional Religion in the Modern World, London.
- White, T. D., (1987). Cannibalism at Klasies, Sagittarius, vol. 2.
- Zmolek. P., (2002). Human Sacrifice, the Degeneration of a Ritual, in: National Catholic Reporter, pp. 1-8.